

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤٢ / ٧ / ٢٩ هـ

تعظيم التوحيد في نفوس الصغار

فلئن تطلعت الأمة لإصلاح ناشئتها، ورغبت أن تقر أعينها بصلاحتهم، فعليها أن تهتم بتربيتهم، وتسليحهم بسلاح الإيمان، وتحصينهم بدروع التقوى، وأخذهم بجد وقوة؛ للعلم النافع والعمل الصالح.

إن العناية بالنشء مسلك الأخيار، وطريق الأبرار، ولما كان توحيد الله تعالى أعظم الأمور، وأصل الأصول، ومن أجله بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي تحقيقه سعادة الدين والدنيا، والبرزخ والآخرة، لما كان الأمر كذلك، كان ﷺ يعنى بشأن الصغار والناشئة عناية تامة، وكان النصيب الأكبر في تربيتهم لهم، لتوحيد الله وغرسه في نفوسهم، ومن شواهد ذلك؛ وصيته ﷺ لابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكان عمر ابن عباس آنذاك دون البلوغ، وكانت وصيته ﷺ له، وصية عقدية عظيمة، تضمنت أصول التوحيد والآداب. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم وجفت الصحف» أوصاه بحفظ أمر الله امثالاً، ونهيه اجتناباً، ثم أوصاه بسؤال الله واستعانت به، ثم رسخ في نفسه أن المقادير بيد الله تعالى.

عباد الله: ومن تعظيم النبي ﷺ للتوحيد في نفوس الصغار ، أنه علم الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أن يقول إذا فرغ من قراءته في الوتر: «اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت، لا منجا منك إلا إليك». ومع صغر سن الحسين ، فقد علمه النبي ﷺ تلك الكلمات العقديّة الجامعة، في تعظيم شأن الله وأنه المستحق للعبادة.

أيها المسلمون: ومن تعظيم التوحيد في نفوس الصغار أيضا ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين ويقول: "إن أباكما (يعني إبراهيم عليه السلام) كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: «أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» فكان يعنى بتعليم الصغار أخبار الأنبياء وزرع محبتهم في القلوب، وكذلك تعظيم شأن اللجوء إلى الله تعالى وأنه هو الحافظ من كل سوء. وتأملوا في قول معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ

الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» وتأملوا وصايا لقمان لابنه، فبماذا

بدأ؟ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

فالتَّوْحِيدُ أَوْلَى، وَلَا شَيْءَ قَبْلَ التَّوْحِيدِ.

الخطبة الثانية

فاتقوا الله أيها الناس، واشكروا نعمة الله عليكم بهؤلاء الأولاد الذين جعلهم الله فتنة لكم، وإن من شكر نعمة الله عليكم فيهم، أن تقوموا بما أوجب الله عليكم من رعايتهم وتأديبهم بأحسن الأخلاق والأعمال وتنشئتهم تنشئة صالحة.

ألا فاعلموا - عباد الله - أن من أعظم الواجبات في هذا الزمان، ترسيخ العقيدة في نفوس الأولاد والبنات، وتأصيل مراقبة الله في القلوب، إغرس في قلب ولدك وبنتك «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، اجعله يراقب الله في خلواته، كما يراقبه في حضرة الناس، ذكره بأن الله مطلع عليه، وأنه لا محالة صائر إليه، علم بنتك بأن الحشمة والحجاب، والستر والعفاف، عبادة لله عظيمة، علمهم بأن الخوف من الله، وتعظيم أمره، والانتهاز عن نهيه، عقيدة للمؤمن راسخة، لا تززعها الشهوات، ولا تهزها الشبهات.

عباد الله : وثمة أمور جعلها الله من فعل الأب وتنفع الابن من بعده، ومن أهم هذه الأمور صلاح الوالد في نفسه، فإنه سبب لحفظ الله عز وجل لأبنائه من بعده، يقول الله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (حفظهما الله بصلاح والدهما ولم يذكر الله للولدين صلاحًا) وعليكم بالدعاء فقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهن»، وذكر منهن: «دعوة الوالد لولده».